

## حول المسألة الدستورية في ألمانيا

فريدريك أنجلز

ماركس، أنجلز، الأعمال الكاملة، المجلد السادس، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٥.

ترجمة: سعيد العليمي

### المسألة الدستورية في ألمانيا {٥٩}

ما ينفك الادب الاشتراكي الالمانى يزداد سوءا من شهر الى شهر. وهو يقصر نفسه بشكل متزايد على تلك السيول العارمة لهؤلاء الاشتراكيين الحقيقيين الذين ترقى كل حكمتهم الى مزيج من الفلسفة الالمانية والنزعة العاطفية الالمانية المبتذلة مع بعض الشعارات الشيوعية المشذبة. وهو يبدى نزعة سلمية تمكنه من ان يعبر عن اراءه الدفينة وان في ظل الرقابة. حتى الشرطة الالمانية لا تجد فيه الا القليل مما يمكن ان يعتبر استثنائيا - وهذا دليل كاف على انه ينتمى لا الى العناصر التقدمية، الثورية وانما الى العناصر الرجعية التافهة في الادب الالمانى.

والى هؤلاء الاشتراكيين الحقيقيين ينتمى ليس فقط هؤلاء الذين يسمون انفسهم اشتراكيون بامتياز، وانما ايضا القسم الاعظم من هؤلاء الكتاب في المانيا، الذين قبلوا اسم حزب الشيوعيين. والآخرى بالفعل، اذا كان لنا ان نقول ذلك، هم حتى الاسوأ.

في ظل هذه الظروف، غنى عن القول ان هؤلاء الكتاب الشيوعيون المزعمين لا يمثلون بأى حال حزب الشيوعيين الالمان. فلا الحزب يعترف بهم بوصفهم ممثليه الادبيين ولاهم يمثلون مصالحه. على النقيض، انهم يراعون مصالح اخرى تماما، وهم يدافعون عن مبادئ اخرى تماما، وهى تتناقض في كل جوانبها مع تلك التي يتبناها الحزب الشيوعي.

الاشتراكيون الحقيقيون، الذين ينتمى اليهم، كما قلنا معظم الكتاب الشيوعيين الالمان المزعومين، قد تعلموا من الشيوعيين الفرنسيين ان الانتقال من الملكية المطلقة الى الدولة التمثيلية الحديثة لا يزيل بأي شكل بؤس الجموع الاعظم من الشعب، لكنه يأتي بطبقة جديدة هي البورجوازية الى السلطة. وقد تعلموا من الشيوعيين الفرنسيين ايضا ان هذه البورجوازية تحديدا، بواسطة رأسمالها تثقل بوطأتها الشديدة على الجماهير، وعلى ذلك فهي خصم الشيوعيين والاشتراكيين بامتياز على التوالي، بوصفهم ممثلي جمهور الشعب. ولم يجشموا انفسهم عناء مقارنة مستوى التطور السياسي والاجتماعي لالمانيا مع مستوى فرنسا، ولا دراسة الاوضاع القائمة فعليا التي يركز عليها كل التطور اللاحق، لقد نقلوا بعجلة ودون تأمل طويل معرفتهم التي حازوها الى المانيا. ولو انهم كانوا رجالا حزبيين هدفوا لاحراز نتائج عملية ملموسة، ومثلوا مصالح معينة ترتبط بطبقة بكاملها، لكانوا قد اولوا انتباها على الاقل للطريقة التي تصرف بها خصوم البورجوازية في فرنسا، في جدالهم ضد البورجوازية من محرري جريدة لاريفورم حتى الشيوعيين المتطرفين، وبصفة خاصة نحو واحد مثل الممثل المعترف به من الجمهور الاعظم للبروليتاريا الفرنسية، العجوز كاييه. لقد كان يجب ان يطرق رؤوسهم ان ممثلي الحزب هؤلاء لم ينخرطوا فقط بصفة مستمرة في السياسات اليومية وانما ايضا بصدد اجراءات سياسية مثل اقتراحات من اجل الاصلاحات الانتخابية، التي ليس للبروليتاريا فيها مصلحة مباشرة، غير انها تتخذ مع ذلك موقفا ابعدها ما يكون عن الازدراء المطلق. ولكن اشتراكيونا الحقيقيين ليسوا رجالا حزبيين، انهم منظرون المانيا. انهم غير معنيين بالمصالح والنتائج العملية، وانما بالحقيقة الابدية.

ان المصالح التي يجاهدون لدعمها هي مصالح "الانسان" والنتائج التي يلاحقونها مقصورة على "الانجازات" الفلسفية. وهكذا فقد احتاجوا فقط الى ان يناغموا بين شرواحهم ووعيمهم الفلسفي الخاص، حتى يصخبوا عندئذ في الخارج صارخين امام كل المانيا ان التقدم السياسي، مثل كل سياسة هو شئ شرير، وان الحرية الدستورية

بصفة خاصة ترفع البورجوازية الى العرش، وهي الطبقة الاشد خطرا على الشعب، وانه بصفة عامة لا يمكن مهاجمة البورجوازية بما يكفي.

في فرنسا، اتخذ حكم البورجوازية لمدة سبعة عشر عاما شكله الاتم كمالا اكثر مما في اي بلد في العالم. ان هجمات البروليتاريين الفرنسيين، وقادتهم الحزبيين وممثليهم الادبيين على البورجوازية كانت من ثم هجمات على الطبقة الحاكمة، على النظام السياسي القائم، لقد كانت هجمات ثورية تحديدا. الى اي مدى تدرك ذلك جيدا البورجوازية الحاكمة يبرهن عليه المحاكمات الصحفية التي لا تعد واضطهاد الجمعيات، ومنع الاجتماعات والمادب، و خدع الشرطة المائة التي يضطهد بها الاصلاحيين {٦٠} والشيوخيين. في المانيا، الاوضاع مختلفة كلية. في المانيا ليست البورجوازية فقط خارج السلطة، بل انها اشد اعداء الحكومات القائمة خطرا. ولذلك فان الهجوم المضلل الذي شنه الاشتراكيون الحقيقيون كان ملائما. ان النضال ضد البورجوازية، الذي لم يجلب غالبا للشيوخيين الفرنسيين الا السجن او المنفى لم يجلب للاشتراكيين الحقيقيين الا حق الطباعة. و الحرارة الثورية التي ميزت جدالات البروليتاريا الفرنسية تضاءلت في الصدور الباردة للنظرين الالمان وتحولت الى فتور يرضي الرقابة وفي هذه الحالة المخصصة كانوا حليفا مرحبا به تماما للحكومات الالمانية ضد البورجوازية المهتدة. لقد تمكنت الاشتراكية الحقيقية من ان توظف اكثر القضايا التي جرت صياغتها ثورية بوصفها اطارا حاميا لمستنقع النظام الالمانى القائم. ان الاشتراكية الحقيقية رجعية بكل ما في الكلمة من معنى.

لقد لاحظت البورجوازية منذ زمن طويل هذا الميل الرجعى عند الاشتراكية الحقيقية. ولكنهم اعتبروا ودون تمعن ان هذا الميل يوجد ايضا لدى الممثل الادبي للشيوخية الالمانية وعابوا على الشيوخيين علنا وسرا انهم مجرد الاعيب في ايدي الحكومات، والبيروقراطية، والنبالة بجذالاتهم ضد قيام نظام تمثيلي، والمحاكمة من قبل محلفين، وحرية الصحافة وبصراخهم ضد البورجوازية.

لقد ان الاوان حتى يتبرأ الشيوعيون الالمان من المسؤولية التي نسبت اليهم بسبب الافعال والرغبات الرجعية للاشتراكيين الحقيقيين. لقد ان الاوان للشيوعيين الالمان، الذين يمثلون البروليتاريا الالمانية بحاجاتها شديدة الوضوح، حاجاتها المملوسة، ان يقطعوا باشد الطرق وضوحا مع تلك العصابة الابدية - لانه لاشئ اكثر - التي لا تعرف هي نفسها من تمثل وهكذا تتقلب ضد ارادتها بين اذرع الحكومات الالمانية، التي تعتقد في نفسها انها "الانسان المدرك" وهي لا تدرك شيئا سوى تأليه الالمانى البائس المبتذل. نحن الشيوعيون ليس هناك في الواقع ما يجمعنا مع الاوهام النظرية وشكوك الوعي لهذه الرفقة المخادعة. ان هجماتنا على البورجوازية تختلف عن هجمات الاشتراكيين الحقيقيين وكذلك عن هجمات النبلاء الرجعيين، على سبيل المثال الشرعيون الفرنسيون او انجلترا الشابة. {٦١} ان الوضع الالمانى القائم لا يمكن ان يستغل هجماتنا بأي حال، لانها لازالت موجهة اليه اكثر مما هي موجهة ضد البورجوازية. اذا كانت البورجوازية، اذا جاز القول، عدونا الطبيعي، العدو الذى سيترتب على الاطاحة به وصول حزبنا الى السلطة، فلازال الوضع الالمانى القائم هو عدونا الاكبر، لانه يقف بين البورجوازية وبيننا، لانه يعوقنا عن التلاحم مع البورجوازية. لهذا السبب فاننا لانعزل انفسنا بأي طريقة عن الجمهور الاعظم من المعارضة للوضع القائم. اننا نشكل فقط قسمها الاكثر تقدما - وهو القسم الذى يتخذ من خلال فكره المتقدم المعلن ضد البورجوازية موقفا مختلفا تماما.

مع اجتماع الدايت المتحد البروسي يصل الصراع ضد الوضع القائم الالمانى الى منعطف. وعلى موقف هذا الدايت يعتمد استمرار او نهاية هذا الوضع القائم. الاحزاب فى المانيا، التي لازالت غير محددة الملامح الى درجة كبيرة ومشوشة ومنتشبية من خلال الدقائق الايديولوجية، مواجهة هكذا بضرورة ان توضح لنفسها اية مصالح تمثلها، اية تكتيكات عليها ان تتبعها، ان تميز نفسها عن الاحزاب الاخرى وان تصبح عملية. و لا يمكن للحزب الاكثر شبابا من بين هذه الاحزاب، الحزب الشيوعى، ان يتفادى هذه الضرورة. ويجب بالمثل ان يوضح لنفسه موقفه، خطة حملته، وسائل عمله، والخطوة الاولى هي التنصل من الاشتراكيين الرجعيين

الذين يحاولون ان يتسللوا داخل الشيوعيين. يمكن له ان يتخذ هذه الخطوة باسرع شكل لانه قوى بما يكفى لرفض المساعدة من كل الحلفاء الذين قد يضعفون الثقة فيه.

## ٢- الوضع القائم والبورجوازية

الوضع القائم في المانيا هو كما يلي:

بينما اصبحت البورجوازية في فرنسا وانجلترا قوية بما يكفى للاطاحة بطبقة النبلاء ولرفع نفسها الى مرتبة الطبقة الحاكمة في الدولة، فان البورجوازية الالمانية لم تبلغ تلك القوة بعد. ان لها بالفعل نفوذا معينا على الحكومات، ولكن في كل الحالات حينما يكون هناك تعارض في المصالح، فان هذا النفوذ ينزاح لصالح طبقة النبلاء العقارية. وبينما تهيمن المدن في فرنسا وانجلترا على الريف، يهيمن الريف في المانيا على المدينة، والزراعة تهيمن على التجارة والصناعة. هذا هو الحال ليس فقط في الملكيات المطلقة وانما ايضا في الملكيات الدستورية في المانيا، ليس فقط في النمسا وبروسيا، وانما ايضا في ساكسونيا، فورتمبرج وبادن بادن.

وسبب هذا هو انه في تلك المرحلة من التطور تتلكأ المانيا خلف البلدان الغربية. تهيمن في الاخيرة بشكل ساحق التجارة والصناعة التي تزود جمهور السكان بمواد معيشتهم، ولكن لدينا فانها الزراعة. لا تصدر انجلترا منتجات زراعية ايا كانت، غير انها في حاجة دائمة للتموين من الخارج، تستورد فرنسا على الاقل منتجات زراعية بقدر ما تصدر، وكلا البلدين يؤسسان ثروتهما على تصدير المنتجات الصناعية قبل اي شئ. اما المانيا فعلى النقيض، تصدر قليلا من المنتجات الصناعية، وكمية كبرى من القمح، والصوف، والماشية الخ. حينما تاسس النظام السياسى الالمانى - في ١٨١٥ كانت الاهمية الطاغية للزراعة اعظم مما هي عليه الان وما فنتت تزدادا كثر في ذلك الوقت بحكم حقيقة ان اغلب الاقسام الزراعية في

المانيا تحديدا على سبيل الحصر هي التي اشتركت باشد الاشكال حماسا في الاطاحة بالامبراطورية الفرنسية.

ان الممثل السياسي للزراعة في المانيا مثلما هو في معظم البلدان الاوروبية، طبقة النبلاء، طبقة كبار ملاك الارض. والنظام السياسي الذي يتوافق مع هيمنة طبقة النبلاء هو النظام الاقطاعي. لقد انهار النظام الاقطاعي في كل مكان بنفس الدرجة التي كفت فيها الزراعة عن ان تكون الفرع الحاسم في الانتاج في البلاد، بنفس الدرجة التي تشكلت بها طبقة صناعية جانب المدن الصناعية خارج القرى.

ان الطبقة التي تشكلت بجانب طبقة النبلاء والفلاحين التي تعتمد بقدر اكثر او اقل عليها ليست الطبقة البورجوازية، التي تحكم اليوم في البلدان المتحضرة والتي تجاهد من اجل السيادة في المانيا، انها طبقة البورجوازية الصغيرة.

ليس النظام السياسي القائم في المانيا اكثر من مساومة بين طبقة النبلاء والبورجوازية الصغيرة، الذي يبلغ حد وضع السلطة في يد طبقة ثالثة : البيروقراطية. في تكوين هذه الطبقة فان الحزبين المتعاقدين الاعظمين يشتركان وفق وضعهما الخصوصي، طبقة النبلاء التي تمثل الفرع الاهم من الانتاج، تحتفظ لنفسها بالمراكز العليا، وتقع البورجوازية الصغيرة بالمراكز الدنيا الا في الظروف الاستثنائية فتدفع مرشحها للادارة العليا. حين تخضع البيروقراطية لسيطرة مباشرة، كما هو الحال في الدويلات الدستورية في المانيا، تتقاسم طبقة النبلاء والبورجوازية الصغيرة بنفس الطريقة، وانه لأمر مفهوم ان تحتفظ هنا ايضا طبقة النبلاء بنصيب الاسد. لا يمكن للبورجوازية الصغيرة ان تطيح ابدا بطبقة النبلاء، ولا ان تتساوى بها، فهي لا تستطيع شيئا سوى ان تضعفها. هناك حاجة لطبقة اخرى ان اردنا الاطاحة بطبقة النبلاء، لها مصالح اشمل، وملكية اعظم وشجاعة اشد تصميمًا: انها البورجوازية.

تنبثق في كل البلدان البورجوازية من البورجوازية الصغيرة مع تطور التجارة العالمية والصناعة الكبيرة، مع المنافسة الحرة المصاحبة لها وتركز الملكية. تمثل البورجوازية الصغيرة التجارة الداخلية والساحلية، الحرف اليدوية، الصناعة اليدوية – فروع صناعية تعمل داخل مجالات معينة، تتطلب رأسمالا قليلا، لها مردود بطئ ولا تثير الا منافسة محلية راکدة. تمثل البورجوازية التجارة العالمية، التبادل المباشر لمنتجات كل الاقاليم، التجارة في النقود، الصناعة الكبيرة القائمة على استخدام الآلات – فروع انتاج تتطلب اعظم المجالات الممكنة، اعظم رؤوس الاموال الممكنة واسرع المردودات الممكنة، ويثير منافسة عاصفة شاملة. تمثل البورجوازية الصغيرة المصالح المحلية اما البورجوازية فتتمثل المصالح العامة. يجد البورجوازي الصغير مركزه مؤمنا، عندما يمارس تأثيرا غير مباشر على تشريع الدولة، يشترك مباشرة في الادارة المحلية ويصبح سيد بلديته المحلية. اما البورجوازي فلا يستطيع حماية مصالحه بدون سيطرة مباشرة دائمة على الادارة المركزية والسياسة الخارجية وتشريع دولته. كان الابداع الكلاسيكي للبورجوازية الصغيرة هي المدن الحرة في الرايخ الالمانى، اما ابداع البورجوازية فقد كان الدولة التمثيلية الحديثة. والبورجوازي الصغير محافظ بمجرد ان تقدم له الطبقات الحاكمة بضع تنازلات، اما البورجوازي فثوري الى ان يحكم هو نفسه.

ما هو اذن موقف البورجوازية الصغيرة تجاه الطبقتين اللتين تتقاسمان الحكم؟

بينما كانت قد تشكلت بورجوازية قوية في انجلترا منذ القرن السابع عشر وفى فرنسا منذ الثامن عشر، يمكن لنا ان نتحدث عن بورجوازية المانية منذ بدايات القرن التاسع عشر فحسب. لقد كان هناك قبل ذلك، وهذا حقيقى، بعض ملاك السفن الاغنياء في المدن الهانسية، وبعض من المصرفيين الاغنياء في الداخل، ولكن لم توجد طبقة من كبار الرأسماليين، وبالاحرى لم يكن هناك قبل كل شئ رأسماليون صناعيون كبار. لقد كان نابليون هو خالق البورجوازية الالمانية. لقد اعطى نظامه القاري {٦٢} وحرية التجارة التي باتت ضرورية بضغطة على بروسيا اعطى

الالمان صناعة يدوية ووسعت من صناعة التعدين لديهم. بعد بضع سنوات باتت هذه الفروع الجديدة او الموسعة من الانتاج بالفعل غاية في الاهمية، كما باتت البورجوازية التي كانت نتاجها غاية في النفوذ، حتى انه في عام ١٨١٨ رأت الحكومة البروسية انه كان من الضروري منحها حماية جمركية. وقد كان مرسوم الجمارك البروسي لعام ١٨١٨ بمثابة اول اعتراف رسمي من قبل الحكومة بالبورجوازية. لقد جرى الاعتراف وان على مضض وبقلب متناقل بان البورجوازية قد اصبحت طبقة لا غنى عنها بالنسبة للبلاد. كان التنازل الثاني للبورجوازية هو الاتحاد الجمركي. {٦٣} ان ادخال اغلب الدويلات الالمانية في النظام الجمركي البروسي قد املته اصلا ببساطة وبلا شك اعتبارات مالية وسياسية، ولكن لم يستفد احد منه بقدر ما استفاد الالمان، وبصفة اخص البورجوازية البروسية ورغم ان الاتحاد الجمركي قد جلب هنا وهناك بعض المميزات الصغيرة لطبقة النبلاء والبورجوازية الصغيرة، الا انه اذى اجمالا كلا المجموعتين بشكل اكبر بسبب بزوغ البورجوازية والمنافسة الاحد وابدال وسائل الانتاج السابقة. منذ ذلك الوقت تطورت البورجوازية سريعا بالاحرى. ورغم ان تطورها في خلال الثلاثين عاما الماضية لم يكن تقريبا عظيما مثل البورجوازية الانجليزية والفرنسية، غير انها اسست مع ذلك معظم فروع الصناعة الحديثة، وفي بضع مقاطعات ابدلت البطريكية الفلاحية او البورجوازية الصغيرة، ركزت رأس المال الى حد معين، وانتجت نوعا من البروليتاريا، وبنيت امتدادات طويلة معقولة من السكك الحديدية. وقد وصلت على الاقل الى نقطة يتعين عليها فيها ان تمضي الى ابعد وتجعل من نفسها الطبقة الحاكمة او ان تترد على فتوحاتها السابقة، النقطة التي تشكل فيها الطبقة الوحيدة التي يمكن لها الان ان تجلب التقدم في المانيا، يمكن لها في هذه اللحظة ان تحكم المانيا. انها بالفعل في الواقع الطبقة القائدة في المانيا ويعتمد وجودها بكامله على صيرورتها شرعيا كذلك ايضا.

مع نشوء البورجوازية وتنامي نفوذها يترافق، بالفعل، العجز المتنامي للطبقات الحاكمة الرسمية حتى الان. لقد باتت طبقة النبلاء مفقرة اكثر فاكثر ومثقلة بالديون



منذ ايام نابليون. وقد رفع شراء الحرية من السخرة تكاليف انتاج القمح بالنسبة لطبقة النبلاء وعرضها للمنافسة من طبقة جديدة من الفلاحين الصغار المستقلين – مساوي كانت على المدى الطويل ابعد من ان تعوض من قبل الفلاحين الذين غالوا في انفسهم حين اشتروا حريتهم. حدث المنافسة الروسية والامريكية من سوق قمحها، وحدث نفس الشئ لصوفها بسبب المنافسة الاسترالية وفي بعض سنوات من جنوب روسيا. وبقدر ما ارتفعت تكاليف الانتاج وزادت المنافسة كلما انكشفت عدم قدرة طبقة النبلاء على ادارة اقطاعاتها بشكل مريح وعلى تطبيق الطرق الاحداث في الزراعة. مثل طبقة النبلاء الفرنسية والانجليزية في القرن الماضي، وظفت طبقة النبلاء الالمانية المستوى الناهض للحضارة من اجل ان تبدد ثروتها بفخامة على ملذاتها في المدن الكبرى. بدأت تلك المنافسة بين طبقة النبلاء والبورجوازية في التربية الثقافية والاجتماعية، في الثروة والبروز، الذي يسبق في كل مكان هيمنة البورجوازية وينتهي، مثل اي شكل آخر من اشكال المنافسة بانتصار الطرف الأغنى. تحولت طبقة النبلاء الريفية الى نبلاء بلاط ومن ثم كان ما لها ان تدمر فقط على نحو اسرع واوكد. ان عوائد الثلاثة في المائة التي تخص النبلاء هبطت قبل ربح الخمسة عشر في المائة التي تعود الى البورجوازية، وقد لجأ اصحاب الثلاثة في المائة الى الرهون، والائتمانات البنكية لطبقة النبلاء وما الى ذلك حتى يتمكنوا من ان ينفقوا بما يلائم اوضاعهم، ومن ثم دمروا انفسهم فحسب وان على نحو اسرع. القلة من ارسقراطية الارض التي امتلكت من الحكمة ما يكفي لعدم تدمير نفسها شكلت مع ملاك الارض الصاعدين حديثا طبقة جديدة من الملاك الصناعيين. وتقوم هذه الطبقة بالزراعة دون او هام اقطاعية ودون لامبالاة الرجل النبيل، بوصفها استثمارا، صناعة، مع الاستعمالات البورجوازية لرأس المال، والمعرفة الخبيرة والعمل. مثل هذه الطبقة هي ابعد من ان تكون غير موائمة مع حكم البورجوازية حتى انها في فرنسا تقف سلمية تماما بجانبه وتشارك وفق ثروتها في الحكم. انها تشكل هذا القسم من البورجوازية الذي يستغل الزراعة.

وهكذا باتت طبقة النبلاء غاية في العجز حتى ان جزءا منها قد انتقل الى صفوف البورجوازية.

وقد كانت البورجوازية الصغيرة بالفعل في موقف ضعيف بشأن العلاقة بالنبلاء ويمكنها ان تقف بشكل اقل في مواجهة البورجوازية. وقد كانت بعد الفلاحين، هي الطبقة الاكثر اثارا للشفقة التي طالما تطلعت على التاريخ. وهي لم تتقدم بمصالحها المحلية الصغيرة، ابعد مما كانت حتى في ذروتها {العصور الوسطى المتأخرة} اي في حدود التنظيمات المحلية، والنضالات والتقدمات المحلية، الى وجود يقوم على المعاناة بجانب طبقة النبلاء، وليس الى الهيمنة السياسية العامة. مع نشوء البورجوازية فهي تفقد حتى مظهر المبادرة التاريخية. واذ انحسرت بين طبقة النبلاء والبورجوازية وتحت ضغط مماثل من التفوق السياسي للاولى ومن منافسة رأس المال الثقيل من الاخيرة، انقسمت الى قسمين. احد القسمين، وهو الاغنى من البورجوازية الصغيرة في المدن الكبيرة، يلتحق بالبورجوازية الثورية بهذا القدر او ذاك من الجبن، الآخر يجند من ساكني المدن الاقفر خاصة من تلك المدن الريفية الصغيرة، يميل نحو حالة الاشياء القائمة ويدعم طبقة النبلاء بكامل وزنه من الخمود. ويقدر ما تتطور البورجوازية اكثر بقدر ما يسوء مركز البورجوازية الصغيرة. ويدرك هذا القسم الثاني تدريجيا ايضا انه في ظل الاوضاع القائمة فان خرابه مؤكد، بينما في ظل حكم البورجوازية مع قيام احتمال هذا الخراب، فانها تتمتع على الاقل باحتمال صعودها الى مراتب البورجوازية. وكلما كان خرابها مؤكدا، كلما وضعت نفسها تحت راية البورجوازية. وبمجرد وصول البورجوازية الى السلطة تنقسم البورجوازية الصغيرة مرة اخرى. انها تزود كل اقسام البورجوازية بالمجندين، واطف الى ذلك انها تشكل، بين البورجوازية والبروليتاريا التي تبزغ الان بمطالبها ومصالحها، سلسلة من الحلقات الراديكالية السياسية والاشتراكية، التي يمكن لنا ان ندرسها بتمعن في مجلس المندوبين الانجليزي او الفرنسي وكذلك في الصحافة اليومية. بقدر ما تتسلل البورجوازية بشكل اكثر حدة في حشود البورجوازية غير المنضبطة وسيئة التسليح بمدفعيتها الثقيلة المتمثلة في

راس المال، مع ارتالها المغلقة من شركات المحاصة، بقدر ما تصبح البورجوازية الصغيرة عاجزة، بقدر ما يكون فرارها بغير نظام، حتى لا تبقى اي طريقة اخرى للهرب لها الا وراء طوابير البروليتاريا الممتدة وان تسير تحت رايتها – او ان تستسلم للبورجوازية بغير قيد او شرط. يمكن متابعة هذا المشهد المسلي في انجلترا عند كل ازمة تجارية وفي فرنسا في اللحظة الراهنة. وفي المانيا فقد بلغنا فقط تلك المرحلة حين بلغت البورجوازية الصغيرة لحظة اليأس واعتصرت من اجل النقود تتخذ القرار الشجاع بادانة النبلاء وتضع ثقنها في البورجوازية.

وعلى ذلك فان البورجوازية الصغيرة مثلها مثل طبقة النبلاء عاجزة عن ان ترفع نفسها الى مرتبة الطبقة الحاكمة في المانيا، وعلى النقيض فهي تضع نفسها كل يوم تحت امرة البورجوازية.

ويبقى الفلاحون والطبقات غير المالكة.

الفلاحون، الذين ندرج ضمنهم هنا فقط الفلاحون الملاك والمستأجرون الصغار، مع استبعاد عمال المياومة وعمال المزارع – ويشكل الفلاحون بالمثل طبقة عاجزة مثل البورجوازية الصغيرة، غير انهم يختلفون عنها وهذا ما يميزهم بشجاعتهم الكبيرة. ولكنهم عاجزون بالمثل عن اجتراح كل المبادرات التاريخية. وحتى تحررهم من قيود القنانة حدث فقط تحت حماية البورجوازية. حيث يسمح لهم غياب طبقة النبلاء والبورجوازية ان يحكموا، كما هو الحال في المقاطعات الجبلية في سويسرا والنرويج، و تقترن بهم البربرية ما قبل الاقطاعية، وضيق الافق المحلي، والبلادة، التعصب الاعمى، و الاخلاص والاستقامة. وحيثما، كما هو الحال في المانيا، تواصل طبقة النبلاء وجودها جانبهم، فانهم معتصرون، تماما مثل البورجوازية الصغيرة، بين طبقة النبلاء والبورجوازية. وحتى يحموا مصالح الزراعة ضد السلطة النامية للتجارة والصناعة فلا بد ان يتضامنوا مع طبقة النبلاء. وحتى يحموا انفسهم ازاء المنافسة الطاغية من طبقة النبلاء وخاصة ملاك الارض البورجوازيين، فلا بد ان يتضامنوا مع البورجوازية. لأى جانب ينحازون في النهاية

هذا يتوقف على طبيعة ملكيتهم. والمزارعون الكبار في المانيا الشرقية، الذين يمارسون هم انفسهم هيمنة اقطاعية معينة على عمال مزارعهم، متداخلون للغاية مع طبقة النبلاء بشأن كل مصالحهم حتى يصعب فصلهم عنهم. ملاك الارض الصغار فى الغرب الذين ظهروا من تفتت اقطاعات النبلاء، والمزارعون الصغار فى الشرق الذين لازالوا يخضعون للقضاء الكنسي ولازالوا جزئيا ملزمين بالسخرة، مضطهدون على نحو مباشر جدا من طبقة النبلاء اوقفون في معارضة حادة لهم ولا ينحازوا لجانب البورجوازية يبرهن على واقع الحال هذا مجالس الدايت البروسية فى المقاطعات.

وعلى ذلك فحكم الفلاحين ايضا امر لا يمكن التفكير فيه. وقلما يفكر الفلاحون انفسهم فيه حتى انهم حتى انهم فى غالبيتهم العظمى قد وضعوا انفسهم تحت تصرف البورجوازية.

وغير المالكين، وبلغة عامة، الطبقات العاملة؟ سرعان ماسوف نتحدث عنهم بشكل مطول {٦٤}، ويكفي في الوقت الحالي ان نشير الى التقسيمات داخلهم. هذا التقسيم الى عمال مزارع، عمال مياومة، حرفيون، عمال مؤقتون، عمال مصانع، بروليتاريا رثة، مع انتشارهم على مساحة عظيمة غير مأهولة بالسكان ذات مواضع مركزية ضعيفة، يجعل من المستحيل لهم بالفعل ان يدركوا ان مصالحهم مشتركة، ان يصلوا الى تفاهم، ان يشكلوا انفسهم فى طبقة. لا يجعل هذا التقسيم والانتشار من الممكن لهم الا الانحصار فى نطاق مصالحهم اليومية المباشرة، الا ان يرغبوا فى اجر جيد مقابل عمل جيد. اي، انه يحصر العمال فى ان يروا مصالحهم فى مصالح مستخدميهم، ومن ثم جاعلين كل قسم بمفرده من العمال جيش احتياطيا للطبقة التي تستخدمهم. ان عامل الزراعة وعامل المياومة يدعم مصالح النبيل او المزارع الذى يعمل على ارضه. ويخضع العامل المؤقت للنفوذ الفكري والسياسي لسيدته. ويترك العامل الصناعي ليستغل من صاحب المصنع فى التحريض من اجل تعريفه حمائية. ويقاثل البروليتاري الرث بقبضته من اجل حفنة تايلرات فى الشجارات بين

البورجوازية، والنبلاء والشرطة. وحين تتناقض مصالح طبقتان من رجال الاعمال يتعين تدعيمها، يوجد نفس الصراع بين طبقتي العمال التي يوظفونها. انها لغاية فى القلة تلك الكتلة من العمال فى المانيا المستعدة لان تنهض بدور فى الشؤون العامة.

اجمالا. طبقة النبلاء تتدهور بشكل شديد، البورجوازية الصغيرة والفلاحون، بكامل وضعهم فى الحياة، غاية فى الضعف، والعمال لايزالون ابعد من ان يكونوا ناضجين بما يكفى حتى يتمكنوا من ان يتصدروا كطبقة حاكمة فى المانيا. وتبقى هناك البورجوازية فقط.

ان بؤس الوضع الالمانى الحالى يتقوم فيما يلى: ما من طبقة بمفردها كانت قوية بما يكفى لتؤسس فرعها الانتاجى بوصفه الفرع الانتاجى القومى بامتياز وهكذا تضع نفسها بوصفها ممثلا لمصالح كامل الامة. كل الطوائف والطبقات التى بزغت فى التاريخ منذ القرن العاشر، النبلاء، الاقنان، الفلاحون الخاضعين للسخرة، الفلاحون الاحرار، البورجوازية الصغيرة، العمال المؤقتين، عمال الصناعة، البورجوازية والبروليتاريين، كلها تتواجد جانب بعضها البعض. هؤلاء من بين هذه الطوائف والطبقات التى تمثل ملكيتهم فرعا من الانتاج، اى النبلاء، و الفلاحون الاحرار، البورجوازية والبورجوازية الصغيرة، قد اشتركوا فى الحكم السياسى بالتناسب مع اعدادهم، وثروتهم، ونصيبهم فى الانتاج الكلى للبلاد. ونتيجة هذا التقسيم هو، كما قلنا، ان طبقة النبلاء قد حصلت على نصيب الاسد، والبورجوازية الصغيرة النصيب الاصغر، وانه من الناحية الرسمية فان البورجوازية يعتقد بها فقط كبورجوازية صغيرة والفلاحون كفلاحين لا يعتقد بهم على الاطلاق، لانهم بالنفوذ الضئيل الذى يملكونه، يقسمون انفسهم بين الطبقات المختلفة. هذا النظام الذى تمثله البيروقراطية هو التلخيص السياسى للعجز العام والتفاهة وللضجر الكئيب ولوضاعة المجتمع الالمانى. ويناظر ذلك انقسام المانيا الى ٣٨ دويلة محلية وريفية مع انقسام النمسا وبروسيا مقاطعات مستقلة استقلالا ذاتيا من الداخل وبالعجز

المسئ ضد الاستغلال والركل من الخارج. ويكمن سبب هذا البؤس العام في النقص العام في رأس المال. في المانيا التي يضربها الفقر فان كل طبقة بمفردها قد حملت منذ البداية سمة الاعتدال المدني وبالمقارنة مع نفس الطبقات في المجتمعات الاخرى كانت بائسة ومقموعة. كيف تظهر البورجوازية الصغيرة والنبالة العليا والدنيا منذ القرن الثاني عشر جانب النبالة الغنية خلية البال الفرنسية والانجليزية، المليئة بفرح الحياة لهم اهداف مقصودة في كامل سلوكهم! كم يبدو سكان المدن الحرة الالمانية في الرايخ والمدن الهانسية صغارا، تافهين ومحدودي الافق بجانب باريسيين المدن المتمردين في القرنين الرابع والخامس عشر، ومتطهروا {بيوريتانيي} لندن في القرن السابع عشر! كيف لاتزال البورجوازية الصغيرة تبدو بوصفها اقطابنا الرئيسية في الصناعة، والمالية، والتجارة البحرية بجانب امراء البورصة في باريس،، وليون ولندن وليفربول ومانشستر! حتى الطبقات العمالية في المانيا هي بورجوازية صغيرة تماما. وهكذا فللبورجوازية الصغيرة العزاء على الاقل في وضعها السياسي والاجتماعي المضطهد لكونها "الطبقة النموذجية في المانيا" ولانها من نقل لكل الطبقات الاخرى اضطهادها النوعي واهتمامها بوجودها.

كيف يمكن تجاوز الفقر؟ هناك طريقة واحدة ممكنة: لابد لطبقة واحدة ان تكون قوية بما يكفي لتجعل نهوض الامة بكاملها معتمدا على نهوضها، لتجعل تقدم مصالح الطبقات الاخرى معتمدا على تقدم مصالحها. يتعين ان تصبح مصالح هذه الطبقة الواحدة في الوقت الراهن مصلحة قومية ويتعين ان تصبح هذه الطبقة ذاتها في الوقت الراهن ممثل الامة بأسرها. من تلك اللحظة، فان هذه الطبقة ومعها اغلبية الامة، تجد نفسها في تناقض مع الوضع القائم ويتوافق الوضع السياسي القائم مع حالة كفت عن الوجود: لتنازع مصالح الطبقات المختلفة. تجد المصالح الجديدة نفسها محظورة، وحتى جزء من الطبقات التي تأسس الوضع القائم لصالحها لم يعد يرى مصالحه الخاصة ممثلة فيه. ان ازالة الوضع القائم، سلما او عنفا، هو النتيجة

الضرورية. ويحل مكانه هيمنة الطبقة التي تمثل في الوقت الراهن غالبية الامة، والتي يبدأ في ظل حكمها تطورا جديدا.

حيث ان الافتقار الى رأس المال هو اساس الوضع القائم، والضعف العام، فان امتلاك راس المال، وتركزه في يد طبقة واحدة، يمكن له وحده ان يعطى هذه الطبقة القوة لأن تخلف هذا الوضع القائم.

هل توجد الان هذه الطبقة التي يمكن لها ان تطيح بالوضع القائم في المانيا؟ انها توجد بالرغم من انها مقارنة بالطبقات المماثلة في انجلترا وفرنسا، ربما بطريقة بورجوازية صغيرة جدا، لكنها لازالت موجودة وبالفعل في البورجوازية.

البورجوازية هي الطبقة الوحيدة في المانيا التي تعطى على الاقل قسما كبيرا من ملاك الارض الصناعيين، والبورجوازية الصغيرة، والفلاحين، والعمال وحتى اقلية بين النبلاء نصيبا في مصالحها وقد وحدت هذه تحت رايتها.

حزب البورجوازية هو الوحيد في المانيا الذي يعرف تحديدا بأي شئ ينبغي استبدال الوضع القائم، الوحيد الذي لا يحد نفسه بالمبادئ المجردة والاستنباطات المنطقية، ولكنه يرغب في ان ينفذ فورا اجراءات عملية غاية في التحدد، والعينية، وهو الوحيد المنظم الى درجة معينة على اساس محلية و ولاياتية ولديه نوع من خطة حملة، باختصار، انه الحزب الذي يقاتل اولا وقبل اي شئ ضد الوضع القائم وهو مهتم بشكل مباشر بالاطاحة به.

حزب البورجوازية من ثم هو الوحيد الذي تتوفر له فرص النجاح في الوقت الحاضر.

والسؤال المطروح انن هو: هل البورجوازية مضطرة بالضرورة لأن تستولى على السلطة السياسية لحسابها وان تطيح بالوضع القائم، وهل هي قوية بما يكفي،

اذا وضعنا في الاعتبار قوتها الخاصة وضعف خصومها، على الاطاحة بالوضع القائم؟

سوف نرى.

ان القسم الحاسم من البورجوازية الالمانية هو ملاك المصانع. ويعتمد على ازدهار الصناعة ازدهار كامل التجارة الداخلية، وهامبورج وبريمن والى مدى معين التجارة البحرية في شتتين، والبنوك، وعليها تعتمد عائدات السكك الحديدية، ومعها القسم الاعظم من اعمال البورصة. اما المستقلون عن الصناعة فهم فقط مصدر القمح والصوف في مدن البلطيق وطبقة المستوردين عديمة الاهمية للمنتجات الصناعية الاجنبية ومن ثم فان احتياجات ملاك المصانع تمثل هكذا كامل احتياجات البورجوازية والطبقات التي تعتمد عليها في الوقت الحاضر. ينقسم ملاك المصانع فضلا عن ذلك الى قسمين: الاول يقوم بالمعالجة الاولى للمواد الخام ويصدرها تجاريا نصف مصنعة، والاخر يطرحها في السوق كسلع تامة الصنع. تنتمى المجموعة الاولى الى الغزالين، والثانية الى النساجين. وفي المانيا يشمل القسم الاول ايضا منتجي الحديد. {هنا اربع صفحات في المخطوطة ناقصة}

... لادخال تقنيات جديدة مخترعة، ولتأسيس اتصال جيد، وللحصول على الات رخيصة، ولتدريب عمال مهرة، فان هذا يتطلب نظاما صناعيا كاملا، انه يتطلب تشابك كل فروع الصناعة، وموانئ بحرية هي المساعد الاضافي للداخل الصناعي حيث تقوم بتجارة مزدهرة. وكل هذا قد تمت البرهنة عليه من قبل الاقتصاديين منذ زمن طويل. ولكن يتطلب مثل هذا النظام الصناعي ايضا اليوم، في الوقت الذي نشهد فيه واقعة ان انجلترا هي تقريبا البلد الوحيد الذي لا يخشى المنافسة، نظام حماية كامل يتضمن كل فروع الصناعة التي تهددها المنافسة الاجنبية. لا يمكن للحكومة البروسية ان تقيم مثل هذا النظام، ولا كل بلدان الاتحاد الجمركي. فلا يمكن اقامته وتشغيله الا من قبل البورجوازية الحاكمة نفسها. ولهذا السبب ايضا فان البورجوازية الالمانية لا تستطيع ان تؤثر بعد ذلك بدون السلطة السياسية.



مثل هذا النظام الحمائي، علينا ان نضيف، لزال غاية في الضرورة في المانيا مادام التصنيع يعانى هناك الام الاحتضار. وبدون تعريفه منظمة سوف تقتل منافسة الالة الانجليزية التصنيع، وسوف يصيب الخراب البورجوازية، والبورجوازية الصغيرة والعمال الذى عالم التصنيع حتى الان. وهو سبب كاف للبورجوازية الالمانية حتى تخرب ما يبقى من الصناعة بالاحرى مع الالات الالمانية. ان التعريفات الحمائية هي ضرورية من ثم للبورجوازية الالمانية وعن طريق هذه البورجوازية ذاتها فحسب يمكن ادخالها. اذا كان لهذا السبب وحده، اذن، عليها ان تسيطر على سلطة الدولة.

ولكن لا يتم فقط تعويق ملاك المصانع عن التوظيف الكامل لرأسمالهم بسبب التعريفات غير الكافية، وانما تعيقهم ايضا البيروقراطية. فاذا كانوا يقابلون في مسألة التشريع الجمركي بلامبالاة من الحكومة، فانهم فى علاقاتهم مع البيروقراطية يقابلون اشد اشكال عداوتها مباشرة.

لقد قامت البيروقراطية لتحكم البورجوازية الصغيرة والفلاحين. هذه الطبقات التي انتشرت في المدن او القرى، ومصالحها لا تتجاوز الحدود المحلية الاضيق، لها بالضرورة افاقا محدودة تتوافق مع نمط حياتهم المحدودة. انهم لا يستطيعون ان يحكموا دولة كبرى، كما انهم لا يمكن ان يمتلكوا عمق الرؤى ولا المعرفة لموازنة المصالح المتنازعة المختلفة. وقد كان في تلك المرحلة من الحضارة تحديدا ان كانت البورجوازية الصغيرة اكثر ازدهارا حتى ان المصالح المختلفة قد تداخلت باشد الاشكال تعقيدا {يمكن لنا ان نفكر في الطوائف الحرفية ومنازعاتها}. لا يمكن للبورجوازية الصغيرة ولا الفلاحين من ثم ان تؤثر دون بيروقراطية ذات وزن عددي وقوية. يجب ان يتركوا انفسهم يعتمدوا على الاخرين حتى يتفادوا التشوش الاعظم وحتى لا يدمروا انفسهم بمئات الالاف من القضايا.

ولكن البيروقراطية، التي تمثل ضرورة للبورجوازية الصغيرة، سرعان ما تصبح قيادا غير محتمل على البورجوازية. وبالفعل تصبح الرقابة الرسمية والتدخل

في مرحلة التصنيع غاية في الارهاق، وقبلما تكون صناعة المشغل ممكنة تحت سيطرة كهذه. لذا ابعد ملاك المصانع الالمان حتى الان البيروقراطية عن ظهورهم بقدر امكانهم عن طريق رشوتهم وهو الامر الذى لا يمكن لومهم عليه بالتأكيد. ولكن هذا العلاج يحررهم فقط من النصف الاقل من العبء، بغض النظر عن استحالة رشوة كل الرسميين الذين يتصل بهم صاحب مصنع، فالرشوة لا تعفيه من المتطلبات المسبقة، المكافآت الشرفية للقضاة، المهندسون المعماريون، الميكانيكيون، ولا من النفقات الاخرى التي يفرضها نظام المراقبة، ولا من العمل الاضافي وتبديد الوقت. وكلما تطورت الصناعة كلما ظهر "الرسميون ذوى الضمائر" – اى رسميون ذوى افق ضيق محض او من كراهة بيروقراطية للبورجوازية، يزجون ملاك المصنع باشد المغالطات اثاره للحق.

البورجوازية مضطرة من ثم لتحطيم سلطة هذه البيروقراطية البطيئة المنشغلة بالتوافه. من اللحظة التي تقع فيها سلطة الدولة تحت سيطرة البورجوازية، يتوقف استقلال البيروقراطية عن الوجود، بالفعل من هذه اللحظة، يتحول معذبوا البورجوازية الى خدامها المتواضعين. القوانين والمراسيم السابقة التي ارشدت فحسب عمل الرسميين على حساب البورجوازية الصناعية انزاحت امام قوانين جديدة ترشد عمل الصناعيين على حساب الرسميين.

البورجوازية مجبرة اكثر على ان تفعل هذا سريعا، وكما راينا، فان كل اقسامها معنية مباشرة بالزيادة الممكنة السريعة لصناعة المشغل، ولا يمكن لصناعة المشغل ان تنمو في ظل نظام من المضايقات البيروقراطية.

ان خضوع الجمارك والبيروقراطية لمصالح البورجوازية الصناعية هما الاجرائين اللذين تعنى بهما البورجوازية على نحو اكثر مباشرة. ولكن هذا لا يفي بكل حاجاتها على اي حال. والبورجوازية مضطرة لان تخضع كل نظام التشريع، والادارة والعدالة تقريبا في كل الدولات الالمانية لمراجعة شاملة لكامل هذا النظام تخدم في ابقاء ودعم وضع اجتماعي تسعى البورجوازية دوما للاطاحة به. ان

الاضاع التي يمكن ان توجد في ظلها طبقة النبلاء والبورجوازية الصغيرة جنبا الى جنب تختلف كلياً عن حياة البورجوازية، والاولى فقط هي التي يعترف بها في الدويلات الالمانية. دعونا نأخذ الوضع القائم كمثال. اذا امكن للبورجوازية الصغيرة ان تخضع نفسها للبيروقراطية القضائية والادارية، اذا كان لهم ان يعهدوا باملاكهم واشخاصهم لاختصاص وبلادة لجهة "مستقلة" اي طبقة قانونية مكتفية بذاتها بيروقراطياً، والتي قدمت لهم بالمقابل حماية ضد تعديت طبقة النبلاء الاقطاعية واحياناً ايضاً ضد هؤلاء المنتمين الى الادارة البيروقراطية، لا يمكن للبورجوازية ان تفعل ذلك. بالنسبة للقضايا التي تتعلق بالملكية تتطلب البورجوازية على الاقل حماية علنية المحاكمة، وبالنسبة للمحاكمات الجنائية حماية المحلفين كذلك، السيطرة الدائمة على العدالة من خلال مندوبي البورجوازية. — يمكن للبورجوازي الصغير ان يصبر على اعفاء طبقة النبلاء والرسميين من الاجراءات القانونية العامة لأن اتضاعه الرسمي يتوافق بهذه الطريقة تماماً مع وضعه الاجتماعي الأدنى. البورجوازي، الذي يتعين ان يدمر، او ان يجعل طبقة الاولى في المجتمع والدولة لا يمكن ان يفعل ذلك. — يمكن للبورجوازي الصغير بغير الاخلال بالمسار الناعم لطريقته في الحياة، ان يترك التشريع بصدد الملكية العقارية للنبلاء وحدهم، يتعين عليه في الواقع، مادام لديه ما يكفي لعمله لحماية مصالحه المدنية من نفوذ وتعديت النبلاء. لا يمكن للبورجوازي ان يترك بحال تنظيم علاقات الملكية في الريف لسلطة النبلاء، لان التطور الكامل لمصالحه الخاصة يتطلب الاستغلال الصناعي الاتم للزراعة ايضاً، خلق طبقة من الفلاحين الصناعيين حرية بيع ونقل الملكية العقارية ان حاجة المالك العقاري لتدبير النقود بالرهن يعطى البورجوازي هنا فرصة ويجبر طبقة النبلاء على ان تسمح للبورجوازية على الاقل في العلاقة بقوانين الرهن، ان تؤثر في التشريع الذي يحكم الملكية العقارية. — اذا ما ركز البورجوازي الصغير، باعماله ذات النطاق الصغير، وبمردوده البطئ وبزبائنه محدودي العدد المركزيين في منطقة صغيرة، لم يجدوا التشريع البروسي البائس القديم حول التجارة غاية في القمعية ولكنه كان ممتناً حتى لنتف الحماية التي

يوفرها، فان البورجوازي لا يستطيع ان يتحملة اكثر من ذلك. نادرا ما تكون تعاملات البورجوازي الصغير الذى تتقوم معاملاته البسيطة للغاية بين تاجر وتاجر، ولكنها تقريبا دائما بمثابة مبيعات من تاجر جملة او منتج مباشرة للمستهلك — ونادرا ما يفلس البورجوازي الصغير ويكيف نفسه بسهولة مع قوانين الافلاس البروسية. وطبقا لهذه القوانين، فان ديون الكمبيالات تدفع من الاصول العامة قبل ديون الدفتر ولكن من المعتاد ان تلتهم تكاليف المحكمة الاصول بكاملها. فقد صيغت القوانين قبل كل شئ في مصلحة البيروقراطية القضائية التي تدير الاصول، ثم في مصلحة غير البورجوازي بوصفه متعارضا مع البورجوازي. ان النبيل بصفة خاصة، الذى يسحب او يتلقى كمبيالة على المشتري او المرسل اليه القمح الذى شحنه، هو من ثم مغطى، وكذلك بصفة عامة كل هؤلاء الذين لديهم شيئا ليبيعه مرة في السنة فحسب ويسحبوا عائد البيع في معاملة واحدة. من بين هؤلاء المشتغلون بالتجارة فان بائعي الجملة والمصرفيين هم مرة اخرى يخضعون للحماية، غير ان مالك المصنع مهمل بالاحرى. البورجوازي، التي تكون معاملاته من تاجر الى تاجر فقط، وزبائنه مبعثرون، الذى يتلقى كمبيالات على العالم اجمع، الذى ينبغي ان يتحرك وسط نظام معاملات غاية في التعقيد، والذى ينخرط في الافلاس في كل لحظة — يمكن للبورجوازي ان يدمر فقط بواسطة هذه القوانين العبثية. — البورجوازي الصغير مهتم بالسياسة العامة لبلده فقط الى الحد الذى يريد فيه ان يترك في سلام، دورته الضيقة في الحياة تجعله غير جدير برصد علاقات دولة بدولة. ان البورجوازي، الذى عليه ان يتعامل او ان يتنافس مع اكثر الاقطار بعدا لا يمكن ان يخط طريقه بدون نفوذ غاية في المباشرة على السياسة الخارجية لدولته. يمكن للبورجوازي الصغير ان يدع البيروقراطية وطبقة النبلاء تفرض الضرائب عليه لنفس الاسباب التي اخضع بها نفسه للبيروقراطية، غير ان للبورجوازي اهتمام مباشر تماما بان لا تؤثر الاعباء العامة الموزعة على هذا النحو على ارباحه الا باقل قدر ممكن.

بايجاز، اذا كان البورجوازي الصغير يمكن ان يرضى ذاته بمعارضة وزنه الخامد لطبقة النبلاء والبورجوازية، وبان يؤمن لنفسه نفوذا على السلطة الرسمية من خلال قوة العطالة، فان البورجوازي لا يستطيع ان يفعل ذلك. يجب ان يجعل طبقته تسيطر، و يجعل مصالحه حاسمة، تهيمن فى التشريع، والادارة، والعدالة، والضرائب، والسياسة الخارجية. على البورجوازية ان تطور ذاتها الى حد التمام، وان توسع راسمالها يوميا وان تخفض يوميا نفقات انتاجها للسلع، وان توسع يوميا صلاتها التجارية واسواقها، وان تحسن اتصالاتها يوميا، حتى لا تدمر، المنافسة على الصعيد العالمي تجبرها على ان تفعل ذلك. وحتى تكون قادرة على ان تتطور بحرية وحتى التمام، ماتطلبه تحديدا هو الهيمنة السياسية، واخضاع كافة المصالح لمصلحتها الخاصة.

وحتى لا تدمر تتطلب البورجوازية الالمانية الهيمنة السياسية الان، كما بينا عليه حين تناولنا مسألة التعريفات الحمائية وموقفها من البيروقراطية. ولكن الدليل الصارخ على هذا هو الحالة الراهنة للنقد الالمانى وسوق السلع.

ان ازدهار الصناعة الانجليزية فى ١٨٤٥ ومضاربات السكة الحديدية التي ادت اليها كان لها اثر فى هذه المناسبة على فرنسا ومانيا اكثر من اى فترة حية ابكر فى مجال الاعمال. ان ملاك المصانع الالمان قاموا باعمال جيدة، حفزت الاعمال الالمانية بصفة عامة. وجدت المقاطعات الزراعية سوقا ملائما لقمحها فى انجلترا. افعم الازدهار العام سوق النقد بالحيوية، وسهل الائتمان وجذب الى السوق عددا كبيرا من من كميات صغيرة من رأس المال، التي كان منها الكثير فى المانيا يرقد شبه عاطل. كما فى انجلترا وفرنسا، لحد ما فقط فيما بعد ولحد ما - {هنا ينقطع

{النص}

## هوامش:

{٥٩} انتوى انجلز ان ينشر هذا المؤلف فى ١٨٤٧ ككراس. وفي ربيع ١٨٤٧ ارسل المخطوطة من باريس {حيث انه وصل فى اغسطس ١٨٤٦ لتنظيم الدعاية الشيوعية} الى ماركس في بروكسل حتى تقدم الى الناشر س. ج. فوجلر، الذى كانت له صلات بالحلقات الشيوعية. كان فوجلر في هذا الوقت قد اعتقل {انظر خطاب ماركس الى انجلز في ١٥ مايو، ١٨٤٧} قدر ماركس هذا الكراس تقديرا شديدا، خاصة في قسمه الاول، ولكن كان من رأيه ان القسمين الاخرين يفتقران الى الدقة. النص الحالي غير كامل. لم يصلنا سوى سبع فروخ، كل فرخ طوى اربع طيات {اجمالي ٢٨ صفحة}، مع ترقيم المؤلف للصفحات {١، ٥، ٩، الخ}. الصفحات من ٢١ - حتى ٢٤ والفروخ الاخيرة مفقودة. ولم يكن هناك عنوان للمخطوطة. طبع القسم الموجود في الاتحاد السوفياتي في ١٩٢٩ في الطبعة الاولى من اعمال ماركس وانجلز باللغة الروسية تحت عنوان "المسألة الدستورية في الادب الاشتراكي الالمانى" وفي ١٩٣٢ في طبعة اعمال ماركس وانجلز بالالمانية تحت عنوان "الوضع القائم فى المانيا".

وضع العنوان الحالي وفقا لخطاب انجلز لماركس في ٩ مارس ١٨٤٧، حيث اسمى هذا المؤلف "كراس حول المسألة الدستورية".